حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

جامعة عين شمس

كلية الآداب

# بين تحصيل السعادة وإصلاح الفلسفة في عالم معاصر "فلسفة السعادة عند آلان باديو نموذجاً"

**سيسيل عواد***

أستاذ مساعد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، أبو ظبي
c-awad2010@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/10/01
تاريخ قبول البحث: 2022/10/17
تاريخ النشر: 2023/12/30

**المستخلص:**

يتناول هذا البحث مفهوم السعادة لدى الفيلسوف الفرنسي المعاصر "آلان باديو"، والذي يسعى في معرض تناوله لموضوع السعادة، كمشكلة معاصرة من جهة، ومشكلة فلسفية تقليدية من جهة أخرى، إلى مقاربة مشكلة الفكر الفلسفي ذاته في عصرنا الراهن، وذلك من خلال الكشف عن نقطة التماس الرئيسية بين السعادة والفلسفة، ويقصد بها المعنى الحقيقي والأصيل للحياة الجديرة، فالإنسان عاجز عن العيش سعيداً إذا لم يكتشف معنى الحياة الحقيقية ويكتشف شروط تعينها. بالمقابل، فإن الكشف عن جوهر الحياة هو مهمة فلسفية بامتياز، لأنه يرتبط بوعي الإنسان بالوجود من حوله، وبوعي علاقته مع هذا الوجود أيضاً.

يعزي باديو عجز الإنسان اليوم عن استكشاف المعنى الحقيقي للسعادة لسببين رئيسيين؛ الأول هو أن الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، وبسبب المناهج التي تعتمدها والغايات التي تنشدها، عاجزة عن صياغة وعي نظري يمكننا من فهم المعنى الحقيقي للحياة، وبالتالي معنى وجودنا فيها. أما السبب الثاني فيتعلق بخصائص عالمنا المعاصر كما هو اليوم، والذي يهيمن عليه التواصل السلعي والتجريد النقدي والإعلاء من أهمية الأمان الوهمي ونبذ القيم التي تحضّ على الشجاعة الفكرية والرغبة في التغيير والمغامرة.

يعتقد باديو بأن سبب فشل الفلسفات المعاصرة في الاستجابة لمشكلات العالم اليوم هو أن هذه الفلسفات مصممة لتتوافق مع هذا العالم كما هو ومع شكل الحياة التي يفرضها، وليس كما ينبغي أن تكون عليه الحياة الحقة وما نريده منها، ولذلك فسبب الحرمان من الحياة السعيدة هو العجز عن عيش الحياة التي تستحق، ولكي نعرف معنى الحياة الحقة فلا بدّ من أن نبدأ من إصلاح الفلسفة ذاتها، واستعادة مطلبها الرئيس؛ الحقيقة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

**مقدمة:**

ما السعادة؟ هذا السؤال الماهوي المباشر والبسيط يفترض قبله سؤالاً أبستمولوجياً تأسيسياً مفاده: هل يمكن تعريف السعادة؟ مثّل هذا السؤال السبب الرئيس في اعتبار السعادة مشكلة فلسفية في الأصل. ثم مع تطور المناهج العلمية وتقدم العلوم الإنسانية أصبحت "السعادة" كموضوع للمعرفة تحظى باهتمام العلماء والمختصين في عدة مجالات، كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد والآداب.. وغيرها. وربما هذا ما أدى إلى تراجع البحث الفلسفي الصريح في السعادة في فترات متقطعة من حقبتي الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ساهم في ذلك أيضاً تراجع النظم التقليدية للتفكير الفلسفي النسقي خلال النصف الأول من القرن العشرين، والذي تسببت به التيارات "الفلسفية" النقدية التي حاربت الميتافيزيقا من جهة، ودعت من جهة أخرى إلى نزع سمة الفكر الشمولي عن الفلسفة وتحويل دراسة الوجود وظواهره إلى الاختصاصات العلمية الدقيقة.

وإذا كان تراجع مناهج التفكير الفلسفي وأنساقه في بعض فترات تاريخ الفلسفة أمر لا يمكن إنكاره، فإنه يجب أيضاً عدم إنكار أن الفلسفة استطاعت بعد كل فترة من الانحسار أن تستعيد مكانتها المركزية في تطوير وعي الإنسان بالوجود من حوله، وبوجوده هو فيه وعلاقته بما حوله ومن حوله بالدرجة الأولى. وباعتبار أن السعادة مكون رئيس من مكونات الوجود الإنساني العاقل، فإننا نعتقد أن تراجع التفكير الفلسفي فيها لم يؤد إلى توقفه بالمطلق، بل فقط إلى إنتاج خطاب فلسفي عن السعادة بقي محصوراً في الدراسات الأكاديمية وعاجزاً عن إثارة انتباه "الباحثين" عن السعادة من خارج الفضاء الفلسفي.

بناء على ما سبق، تمثل استعادة التفكير فلسفياً في السعادة القضية الرئيسة لبحثنا هذا، وذلك من خلال المقاربة التي قدمها الفيلسوف الفرنسي المعاصر آلان باديو[1] عن معنى السعادة وأسبابها والطرق الموصلة إليها في عالمنا اليوم عموماً، وفي العالم الغربي بوجه خاص. ونميل للاعتقاد بأن أهمية ما قدمه باديو في مقاربته هذه ترتبط بالدرجة الأولى بتجديد خطاب الفلسفة في السعادة والبرهنة مجدداً على العلاقة التكوينية التي تربط بينهما. كما أن اختيار باديو القصدي والموجه لمصطلح "الميتافيزيقا" ضمن عنوان الكتاب، وهو الذي عاصر أهم التيارات التي نعت الميتافيزيقا وأعلنت موتها، يعكس انضواء خطابه عن السعادة ضمن مشروعه الرئيسي الذي ينصب على إعادة تجديد التفكير الفلسفي وعصرنته ليكون تفكيراً جاداً وقادراً على الاستجابة لمشكلات العالم اليوم وتلبية حاجته الماسة للفلسفة، تلك الحاجة التي يصفها باديو بأنها أكبر مما تتصوره الفلسفة ذاتها!

وبالإضافة إلى كون مشكلة السعادة من المشكلات التي تمثل أزمة لا يمكن تجاهلها في الوعي الإنساني المعاصر، وبخاصة في ظل التفاوت الحضاري والاقتصادي بين أمم العالم ومجتمعاته، وهيمنة النمط الاستهلاكي القائم على الإشباع اللامحدود للمتع والملذات، والذي يتجاوز في كثير من الحالات حدود السعي المعتدل لتحقيق السعادة، ويصل لمستويات بالغة الخطورة من تغييب الوعي وتفشي الإدمان الاستهلاكي بكافة أشكاله، بالإضافة إلى ذلك كله، تنطلق أهمية بحثنا أيضاً من تسليط الضوء على المقاربات السلوكية والعملية التي يقدمها باديو للفوز بالسعادة الحقيقية، والعمل من قبل المختصين والمربين على الاهتداء بهذه المقاربات لوضع الرؤى والاستراتيجيات للمؤسسات والمنظمات التي تُعنى بسعادة الإنسان المعاصر، تربوية كانت أو اقتصادية أو حكومية أو مجتمعية مدنية.

**أولاً– السعادة والفلسفة.. أية علاقة؟**

يبدو من المؤكد في الفلسفة، وعبر تاريخها الرسمي أكاديمياً والذي يبلغ الألفين وخمسمئة سنة تقريباً، أنه لا حاجة لإثبات العلاقة الوثيقة التي تربطها بمفهوم "السعادة"، ما يعني أيضاً أنه لا حاجة لنقض الآراء والتوجهات التي ربما تنفي هذه العلاقة، هذا طبعاً في حال إن وُجدت مثل هذه الآراء والتوجهات في ما نعرفه من تاريخ الفلسفة. ولذلك، وبناء على العلاقة الجذرية التي يثبتها هذا التاريخ بين الفلسفة كحقل معرفي خاص ومتفرد، وبين السعادة كقيمة خالصة بذاتها، يمكن القول أن البحث في "السعادة" وتعريفها وطرائق تحقيقها أو تحصيلها، قد مثّل بشكل مباشر مشكلة رئيسية في أغلب المذاهب والتيارات الفلسفية، أما بشكل غير مباشر، فقد كانت السعادة حاضرة في كل فلسفة سابقة، وستبقى كذلك في كل فلسفة حالية أو ممكنة.

ومما يستدعي الملاحظة أيضاً في هذا السياق، هو ندرة الاختلاف النظري عند الفلاسفة حول مفهوم السعادة كقيمة بذاتها وغاية نهائية لما دونها، وما يتبع ذلك من القول الفلسفي في تعريفها والاتفاق على أولويتها بالنسبة للكائن الإنساني. بالمقابل فإن ما يتمايز به الفلاسفة عن بعضهم بعضاً في "فلسفة السعادة" مرتبط في الغالب بتصنيف مستوياتها والبحث في أسباب تحققها والطرق المؤدية إليها.

من جهة أخرى، يمثل ربط السعادة بالفضيلة مبدأ عاماً وسمة غالبة في أعمال الفلاسفة والتيارات الفلسفية خلال المرحلتين القديمة والوسيطة، إذ يعتبر سقراط أول من وضع هذا المبدأ حين اتخذ من الفضيلة أساساً لفلسفته التي نذرها للرد على السفسطائيين، والذين هم في الحقيقة أول من أثار مفهوم السعادة في النقاش العقلي اليوناني العام. ولكنهم حين ذهبوا إلى القول بنسبية الأخلاق، فقد أدى ذلك بهم في نهاية المطاف إلى وضع السعادة واللذة في إطار واحد[2]، واعتبار الأخيرة هي الخير الأسمىوالغاية التي يسعى الجميع لبلوغها. بالمقابل لم يختلف سقراط مع السفسطائيين في أن تحصيل السعادة لا يتحقق إلا ببلوغ الخير الأسمى، لكنه رفض أن تكون اللذة هي هذا الخير، بل الفضيلة التي لا تتحقق إلا بالعلم[3]، وبالتالي فالفلسفة هي الطريق لتحقيق السعادة القصوى، إذ بها يكون تحصيل العلم ثم بلوغ الفضيلة.

على إثر هذه الخطى السقراطية سار معلمّا الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو، واللذين رغم اختلافهما الجزئي في بعض مسائل السعادة، فقد انتهيا إلى تكريس المبدأ السقراطي ذاته باعتبار السعادة هي الخير الأسمى. أما إسلامياً فقد التزم الفارابي، أحد أشهر فلاسفة السعادة في العصر الوسيط، النهج ذاته حين رأى أن (السعادة هي الخير المطلوب لذاته، وليست تُطلب أصلاً –ولا في وقت من الأوقات– ليُنال بها شيء آخر، وليس وراءها شيء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها)[4]، ثم يؤكد الفارابي أن بلوغ هذه السعادة الحقيقية، والتي لا تُطلب إلا لذاتها، إنما تقوم على العقل والحكمة والانصراف عن الحسيات الدنيوية، والتفرغ للتأمل والمعرفة[5].

ما أضافه الفارابي على آراء أسلافه اليونانيين حول السعادة كثير في الكم قليل في النوع، فمن جهة الكم مثّل مفهوم السعادة موضوعاً عابراً لمجمل كتبه الفلسفية، سواء تلك التي اختصت بالإلهيات، أو بالفلسفة السياسية، أو الأخلاقية، أو رسائله التي تناولت السعادة بشكل مباشر، وأشهرها "تحصيل السعادة"، فأسهب في عموم مذهبه الفلسفي في تبيان مستويات السعادة وتعدد أنواعها، والطرق التي تؤدي إليها، وتصنيف الأفعال التي تساعد الإنسان على بلوغها،

والتمييز بين الفضائل الباعثة على هذه الأفعال. أما الإضافة النوعية التي قدمها في هذا الصدد، فتتعلق بالتمييز بين سعادتي الدنيا والآخرة، لتبقى الأولى مهما بلغت سعادة إنسية نسبية، أما السعادة في الآخرة فهي أقصى مراتب السعادة الحقيقية والمطلقة.

ولا شك أن البحث عن السعادة في عالم علوي ومفارق كان صدى واضحاً لتأثر الفارابي وغيره من فلاسفة الإسلام بالوعي الديني وتكريس أهمية الجانب الروحي في الإنسان مقابل التقليل من شأن الجانب الحسي المرتبط بالجسد. والأمر ذاته ينطبق على رجالات الفلسفة المسيحية الوسيطة، ومنهم القديس أوغسطين الذي اعتقد في مطلع شبابه أن تحقيق السعادة إنما يكون بالانصراف إلى تعلم الفلسفة، إذ دافع عن ذلك في استعراض آراء الفلاسفة والتحقق من أنه (ما من سبب يحمل الإنسان على درس الفلسفة سوى ما يشعر به من رغبة في السعادة، أما ما يجعل الإنسان سعيداً فهو غاية الخير، وبالتالي فكل شيعة لا تبغي الخير ليست شيعة فلسفية)[6]. غير أن أوغسطين انتهى في كهولته إلى التشكيك في قدرة الفلسفة على منحنا السعادة القصوى، وخلص إلى أن السعادة الحقيقية ترتبط بالعالم العلوي حيث يوجد الله الذي هو سبب السعادة، يقول: (والنتيجة هي أن السعادة تكمن في أن يكون الله لنا)[7].

السعادة إذن، ومن منظور الفلسفات السابقة، لا تتحقق إلا ببلوغ الخير الأسمى، والخير الأسمى لا يمكن أن يكون شيئاً آخر سوى الفضيلة، والفضيلة هي غاية الأخلاق ومنتهاها، ولأن مبدأ الأخلاق هو التمييز بين الخير والشر، فإن هذا التمييز لا يمكن أن يقوم إلا بالعلم النظري الصحيح والمعرفة العقلية الحقة.. وهكذا مثّل تقاطع هذه العناصر جميعها جوهر العلاقة بين الفلسفة والسعادة. وبالتالي، يمكن إعادة كل موقف فلسفي –قديم أو وسيط– من السعادةإلى هذه العناصر، سواء في ما يتعلق بمحاولة تعريفها، أو استنتاج أسبابها، أو التمييز بين مستوياتها وأنواعها. وما ربط السعادة بالله والحياة الآخرة في المرحلة الوسيطة، إلا لأن هذا الطريق هو الطريق الحقيقي للخير الأسمى وللمعرفة الحقة.

ويشير عبد الرحمن بدوي في موسوعته الفلسفية، إلى أن غياب التفريق بين الغاية والباعث (الدافع) في تحديد معنى السعادة ووسائلها كان سمة غالبة في الفلسفة اليونانية، ونرى الأمر ذاته ينطبق على الفلسفة الإسلامية أيضاً، ولذلك يؤكد بدوي أن هذا التفريق لم يتحقق إلا في العصر الحديث، وخصوصا مع كانط الذي (جعل السعادة منفصلة تمام الانفصال عن الدافع الأخلاقي: فالدافع الأخلاقي عنده هو الواجب، والواجب لا صلة له بالسعادة، فقد يتأتى عن تحقيق الواجب سعادة، وقد يتأتى عن تحقيقه شقاء. والنتيجة الأخلاقية في كلا الحالين واحدة)[8]. وفي الحقيقة فقد بدأ هذا التمييز يشق طريقه رويداً رويداً منذ عصر التنوير حتى عصرنا في محاولة فهم السعادة والتطلع لبلوغها بعيداً عن المسار الأخلاقي للبشرية، وهذا ما عبّر عنه الأديب الفرنسي باسكال بروكنر في موقف نقدي بارز حين قال: (نحن نُفضّل أنْ نكون سعداء على أنْ نكون ذوي سموّ أو على قيد الحياة)[9].

**ثانياً– السعادة اليوم.. وما ينبغي أن تكونه الفلسفة المعاصرة:**

يفتتح باديو كتابه "ميتافيزيقا السعادة الحقيقية" بالإشارة إلى إشكالية الخوض في الحديث عن السعادةكحديث فلسفي معاصر، إذ مَن مِن الفلاسفة يستطيع أن ينجح اليوم في تقديم خطاب فلسفي يحمل قيمة مضافة عمّا كرره الفلاسفة من قبل؟ ومن من القراء يرغب بتلقي خطاب فلسفي عن السعادة غامض جداً، أو مفارق للواقع ومثالي جدا؟ ولأن باديو لا يستطيع أن يتجاوز هذه المعضلة مباشرة، نراه يحاول مقاربتها بسخرية مضمرة ونقد غير مباشر لكلا الطرفين؛ الفلاسفة

من جهة، والبشر العاديون – بمجمل ما يتصورونه حول ما يمكن أن تتحقق السعادة به– من جهة أخرى. ولذلك يشير إلى أنه قلما يمكن أن نرى رابطة بين الصحبة غير المبهجة للفلاسفة أمثال ديكارت وباسكال وهيغل وكيركيغارد –والذين يصفهم كمعلمين له– وبين "وصفات" السعادة في الحياة المعاصرة، والتي ليست أكثر من (حياة هادئة، ووفرة وصفات الإشباع اليومي، ووظيفة مهمة، وراتب ملائم، وصحة جيدة، وزوج مبتهج، والقيام برحلات تبقى في الذاكرة طويلاً، وأصدقاء عطوفين، ومنزل مجهز جيداً، وسيارة مريحة، وحيوان أليف ووفي ومثير للعاطفة، وأبناء رائعين ناجحين في دراستهم دون مشاكل؛ وباختصار لا رابطة لكل ما قيل مع ما يُفهم بصورة مألوفة ووفق كل الخيارات عن السعادة)[10].

أما عن واقع السعادة اليوم فيسوقه باديو من جهة توصيف علاقتها الجذرية بالفلسفة عنده، إذ السعادة الحقيقية في رأيه (أن نتمرد على العالم كما هو كائن، كما تقتضي التمرد على طغيان الآراء الراسخة)[11]. ويمثل هذا التمرد من وجهة نظره مكوناً رئيساً في "التوق إلى التفلسف". فالفلسفة، وكما يدافع باديو عنها دائماً، ليست شيئاً اكثر من (قوة مزعزعة لاستقرار الآراء المهيمنة)[12]، ولذلك فهو يشترط لكي تكون فلسفة ما موجهاً نحو السعادة الحقيقية، ينبغي أن تكون قادرة على "التمرد" الذي يمثل جوهر التوق إلى التفلسف، ولا يكون هذا التوق فعّالاً ومنتجاً إلا بوجود أربعة أبعاد أساسية فيه، هي: الثورة والمنطق والكونية والمجازفة.[13]

بالقياس إلى هذه الأبعاد الأساسية للتوق الفلسفي، والضامنة لتحقق السعادة في رأي باديو، لا يبدو لديه أن هذه السعادة متحققة بالفعل في العالم الغربي اليوم، إذ ثمة بالمقابل أربعة عوائق أساسية تقيد الأبعاد الأربعة لهذا التوق، وهي على التوازي: سلطة البضاعة، وسلطة التواصل، والكونية النقدية (المالية)، والتخصص التقني المستلب للإنتاج.[14]

فمن جهة "سلطة البضاعة" يبدو العالم الغربي اليومفي رأي باديوغير متلائم في جزء منه مع روح التمرد طالما أنه يقدم نفسه باعتباره التحقق النهائي للعالم الحر، وأن الحرية هي القيمة المنظمة له، ولذلك يدعي هذا العالم أنه الأقدر على تقديم أفضل ضمانات السعادة وأفضل الاقتراحات لتحقيقها. والنقد الذي يوجهه باديو لهذه النقطة يقوم على أن العالم الغربي حين يقنن رهانات هذه الحرية ويسوِّقها (أي يخضعها لطبيعة السوق المهيمنة)، فإن حريته هذه تغدو (حرية أسيرة لما هو متاح ضمن شبكة تداول البضائع)[15]، وهذا ما يجعل الثورة غير ممكنة في حدود هذا العالم الغربي طالما أنه متمسك بوهم راسخ مفاده أنه بلغ الحرية المنشودة.

والعالم الغربي أيضاً غير ملائم للمنطق، بل هو خاضع أساساً للبعد اللامنطقي للتواصل في ظل التسويق وسطوة التداولالبضائعي، هذا التواصل الذي يعمل على تفكيك كل رابط وكل مبدأ منطقي، وأخطر ما يفككه هو منطق الزمن نفسه[16] عبر تسريعه وإعادة ضبطه ضمن منظومة التبادل البضائعي المعاصر.

أما بالنسبة للبعد الكوني بمعناه الفلسفي فهو أيضاً غير متوافق مع عالم الغرب، وذلك لسببين: أولاً (لأن الشكل المادي الحقيقي لكونيته هو التجريد النقدي (...) ففي المال تكمن العلامة الوحيدة الفعلية لكل ما يتم تداوله كونياً وتبادله. وفي مقام ثان، لأن عالمنا كما نعلم هو، في الآن عينه، عالم متخصص ومتشظ ومنظم وفق المنطق العام للتخصصات المنتجة، وضمن موسوعة المعارف، بحيث لا يمكن التحكم إلا في جزء بسيط منها)[17]. وهذا ما يناقض المعنى الفلسفي للكونية حين يتم حصرها في شكلٍ مجردٍ ونقدي، مما يؤديبحسب باديو إلىأن تصبح السعادة في هذا العالم خاصة

(بمجموعات معينة وأفراد تنافسيين لا يتوانون عن الدفاع عنها بوصفها امتيازاً متوارثاً ضد الجموع الذين لا يتمتعون بها مطلقاً)[18].

أخيراً يرى باديو أنه لا مكان في العالم الغربي بطبيعته الحالية للمغامرة والقرار الجريء والمُخاطر، ولا حتى لمجرد الصدفة، إذ كل شيء فيه محكوم لضرورة احتساب الأمانضمنمقاييس السوق ومرجعياته، وحتى التعليم فيه فقد سمة الانفتاح الي رافقته عبر تاريخ المعرفة البشرية، وأصبح (منظماً على النحو الذي ترتفع فيه أكثر فأكثر ضرورة ترتيبه وفقاً لحساب الأمان المهني، وتكييفه وفق تدابير سوق الشغل)[19]. يصفباديو هذا العالم "بالجبان" الذي يلقن أفراده منذ الصغر عدم الخوض في أي مجازفة حفاظاً علىالحساب الدقيق للأمان المتوهم، ويعيد تنظيم سياقات وجودهم وفقاً لهذا الحساب، وبذلك يصبحالعالم الغربي عالماً مضاداً للسعادة الحقيقية التي تقتضي بطبيعتها أن لا تكون جريئة ومقدامة وغير قابلة للحساب[20].

**ثالثاً- البحث عن السعادة مدخل لنقد الفلسفة المعاصرة:**

يعتقد باديو أن المشكلات الفلسفية ليست كغيرها من المشكلات، هي مشكلات لن تصادفنا بذاتها، ولا نعي وجودها إلا عندما نقوم نحن بوضعها، والفيلسوف الحقيقي هو الذي (ينشئ مشكلاته، هو مبتكر مشاكل، ولذلك فإنه ليس الشخص الذي يمكن أن يُسأل في التلفزيون، ليلة إثر أخرى، عن رأيه بما يجري. والفيلسوف الأصيل هو من يحدد بنفسه المشكلات الهامة، هو شخص يطرح مشكلات جديدة أمام الجميع. فالفلسفة تعني أولاً وقبل كل شيء: ابتكار مشكلات جديدة)[21]. ولكي يفحص بوديو قدرة الفلسفة اليوم على تجاوز التحديات الأربعة التي يضعها العالم المعاصر "الغربي" أمام التوق الفلسفي (سلطة البضاعة، وسلطة التواصل، والكونية النقدية (المالية)، والتخصص التقني المستلب للإنتاج)، يقوم أولاً باستعراض الوضعية الفلسفية العالمية والتمييز فيها بين ثلاثة تيارات رئيسية؛ الأول هو التيار الفينومينولوجيالهرمينوطيقي الذي أقام أسسه هيدغر وأكمل بناءه غادامير، والثاني التيار التحليلي في أعمال كارناب ثم فيتجنشتاين والمهيمن على الفلسفة الأكاديمية الإنجليزية في نسختيها البريطانية والأمريكية، والثالث هو تيار ما بعد الحداثة سالف الذكر، في صيغته التي يتبناها كل من جاك ديريدا وجون فرانسوا ليوتار.

أما المبدأ الفاحص لهذه التيارات الثلاث فيقيمه باديو على تحديد "التوق إلى التفلسف" فيها أولاً، ثم النظر في النتائج الخلاقة التي يمكن أن تصدر عنه، لينتهي أخيراً إلى المعنى الصريح، أو الضمنى، للحياة الحقة التي يمكن أن تمثل إطاراً واقعياً للسعادة الحقيقية. ينتقل باديو بهذه المعايير الثلاث بين تيارات الفلسفة المعاصرة ليتساءل عن قدرة هذه التيارات على خلق "التوق إلى التفلسف" أو الرغبة في الفلسفة في العالم المعاصر، وبالتالي تمكنها من إنتاج فلسفة حقيقية تؤدي إلى السعادة الحقيقية. وذلك على النحو الآتي:

**1. التيار الهرمينوطيقي التأويلي:**

المفهوم المركزي لهذا التيار هو التأويل[22]، وغاية الفلسفة فيه الكشف عن معنى الوجود والفكر، أما أداتها فهي الانفتاح على المعنى الكامن للوجود، والعمل من خلال منهج التأويل على (إنشاء معنى أولي يكون صورة عن قدرنا في

علاقته بمصير الوجود ذاته)[23]. ولا يمكن تحقيق هذا الانفتاح حسب التيار الهرمينوطيقي إلا حين تقوم الفلسفة برفع الأنقاض عن الفكر وتخليصه من انغلاق المعنى وكمونه وغموضه.

**2. التيار التحليلي:**

غاية الفلسفة عند التحليليين[24] هي التفريق الصحيح والجاد بين القضايا الحقيقية وذات المعنى، وبين تلك الخاوية من المعنى والتي لا قيمة لها، أما أداتها فهي التحليل اللغوي (النحو) والمنطقي لهذه القضايا، وعن هذا التحليل يتم وضع القواعد التي يستطيع الفكر من خلالها الوصول للاتفاق حول المعنى. وعليه فالرهان الفلسفي في التحليلية لا يكون حول التعارض بين الانفتاح والانغلاق كما في الهرمينوطيقا، بل في التعارض بين ما له معنى وما ليس بذي معنى، و(من هذا المنظور فإن غاية الفلسفة علاجية ونقدية. يتعلق الأمر برفع الأوهام التي تشتتنا، أي مختلف أشكال اللامعنى التي تكون موضع اشتراك وتعارض)[25].

**3. تيار ما بعد الحداثة:**

ينطلق تيار ما بعد الحداثة[26] في تحديد غاية الفلسفة من الجهة التي يشير إليها اسمه، وهي تفكيك البداهات المألوفة للحداثة، ويشير باديو في هذا السياق إلى أن غاية هذا التيار ليست البحث عن معنى كامن في الوجود، ولا في التفريق بين المعنى واللامعنى، بل بالسعي إلى طرح مغاير تماماً لقضية المعنى، (ولأجل ذلك لا بد من تفكيك هيئتها السابقة وتحطيم المعاني الكبرى التي نشأت أساساً في القرن التاسع عشر وما سبقه؛ ومن ذلك فكرة الذات التاريخية، وفكرة التقدم، وفكرة الثورة، وفكرة الإنسانية (...) إن غاية فكر ما بعد الحداثة هي بصورة أساسية تفكيك فكرة الكلية)[27]، والأهم من ذلك سيقرن فكر ما بعد الحداثة مصير التراث الفلسفي بمصير الفن ذاته، وسيتحدد التوق الفلسفي الثوري باعتباره خلق أشكال جديدة من الحياة.

من هذه الخلاصات التي يقدمها باديو عن التيارات الفلسفية الرئيسية المعاصرة، يضع معيار نقده لممثليها على محك السؤال الرئيسي عن الغاية من الفلسفة، والذي يمكن صياغته كالأتي: (ماذا فعلتم من أجل التمسّك بالرغبة في الفلسفة؟ هل رسمتم وجها للفلسفة قادرا على رفض نظام هذا العالم البائس؟ أم فشلتم في جعل الفلسفة مرّة أخرى كفيلة بإعادة السعادة إلى العالم؟)[28].

يستنتج باديو أن جميع هذه الفلسفات فشلت في تحقيق ما ينبغي أن تكونه الفلسفة الحقة القادرة على تغيير العالم، ذلك لأنها تتفق جميعاً على مطلب واحد يسمه باديو بأنه التوجه السالب العام لهذه التيارات، وهو القضاء على الميتافيزيقا، ومن ثم التخلي عن البحث عن فكرة الحقيقة المطلقة باعتبارها فكرة ميتافيزيقية و"كليّانية"،[29] مقابل البحث عن "المعنى". ولأن الفلسفة الحقة هي إما المجازفة والجرأة وإما لا شيء[30]، فإن تخلي الفلسفة عن شجاعة طلب الحقيقة والتمسك بها هو تخلٍ عن سؤال الحياة الجديرة المناط بالوعي الفلسفي وحده محاولة الإجابة عنه[31]، لأن الفلسفة بدون الحقيقة ستكون عاجزة عن التمرد والثورة على كل ما هو مهيمن وطاغ من الآراء والمعتقدات التي تفصل الإنسان عن الحياة الحقيقية ، وبالتالي عن السعادة نفسها!

**رابعاً- عن الفلسفة التي تصنع السعادة:**

السعادة إذن هي الوصول إلى الحياة الحقيقية، وإلى معنى الوجود الحقيقي، ولا أداة بين أيدينا لبلوغ ذلك إلا بالفلسفة القادرة على التمسك بالحقيقة للمحافظة على الأبعاد الأربعة للتوق إلى التفلسف؛ التمرد والمنطق والكونية والمجازفة، ضد عوائق العالم المعاصر الأربعة سالفة الذكر. وهذا ما يستدعي من وجهة نظر باديو ضرورة أن نتجاوز أطر تفكير التوجهات الفلسفية السائدة: الهرمينوطيقا والتحليلية وما بعد الحداثة، و(أن نعثر أو نكوّن، ضمن تشكيلات مستجدة، سبيلاً أو نهجاً فلسفياً لا يكون سبيل التأويل، ولا ذاك الخاص بالتحليل اللغوي، ولا [ما بعد الحداثة] المتعلق بالحواشي وبالملتبس والتفكيك. يتعلق الأمر بالعثور على طريق فلسفي، مؤسس وعازم، وفقاً للمذهب الذي كان عليه النهج الفلسفي الكلاسيكي).[32]

وللعثور على هذا النهج الفلسفي الجديد ينبغي أولاً استعادة سمة الكونية للفلسفة، وذلك بعدما فُقدت هذه السمة في ظل التيارات الفلسفية الثلاث السابقة التي حصرت الفلسفة في نُظُم اللغة المتعددة، سواء من جهة تأويلها أو من جهة تحليلها القواعدي أو من جهة تفكيك خطابها. والبديل المناسب عن اللغة عند باديو هو النموذج الرياضي الذي لا بد أن يكون وحده النموذج المثالي للفلسفة، لأنه يتوجه إلى الجميع، وقابل لأن يكون كونياً، وقادر على تجاوز الأنظمة اللغوية المتشظية. أما الخطوة الثانية التي يقترحها باديو فهي إعادة توجيه الفلسفة نحو التمسك بمقولة الحقيقة، وبالتالي مقولة الذات[33].

هذا إذن ما ينبغي على الفيلسوف الحقيقي القيام به لاستعادة الدور الأصيل للفلسفة في العالم المعاصر اليوم، ورغم أنه عالم يضغط باتجاه إضعاف الرغبة بالفلسفة من جهة، إلا أنه يترجى استعادة دورها من جهة أخرى، وذلك لعدة أسباب: أولها فشل العلوم الإنسانية اليوم (الاجتماع والاقتصاد والسياسية وعلم النفس..) في أن تحل محل الفلسفة وتقوم بدورها بعدما غلب عليها الجانب الإحصائي والتحديدات العامة وعجزت عن مقاربة الوجود الإنساني المتفرد[34]. أما السبب الثاني فهو الانهيار الفكري فيما يخص المسائل الإنسانية الكبرى وعجز المفاهيم الكبرى عن إدراك هذه المسائل وإثارة الأفكار الجادة حولها.

أما السبب الثالث فيتعلق بما يشهده العالم اليوم من تمدد للنزعات الجماعوية بأشكالها الدينية والعرقية والقومية والعنصرية بكافة أشكالها، وخطورة هذا التمدد أنه يحطم من جهة أخرى الأشكال العقلانية للتفكير في القضايا الإنسانية المشتركة. بينما يتعلق السبب الرابع بالمفارقة بين تقديم عالمنا لنفسه باعتباره أفضل العوالم الممكنة، ولكنه في الوقت ذاته عالم هش ومكشوف وفي انحدار دائم بسبب الحروب التي لا تكاد تنقطع فيه، تلك الحروب التي ترتبط بشكل مباشر بالأنانية الغربية كما يرى باديو.

أمام هذه الصورة السوداوية، والتي تتناقض مع أي سعادة ممكنة، يؤكد باديو أن (العالم المعاصر في حاجة إلى الفلسفة أكثر مما تعتقده الفلسفة ذاتها)[35]. لكن ليس على طريقة الفلسفات السائدة السابقة التي صُممت لتحافظ على هشاشة هذا العالم وتخفق في قول ما ينبغي أن تكون عليه الحياة الحقة. إن ما يحتاجه العالم اليوم هو فلسفة تعلن (أنه أن نحيا هو أن نفعل من أجل أن لا يكون هناك تمييز بين الحياة والفكرة)[36]، فلسفة حاسمة ومؤسِسة للتفرد والعقلانية والحقيقة

والحدث. وأهمية هذه الفلسفة اليوم أنها ستكون قادرة على تجديد التوق إلى التفلسف فينا من خلال اقتراح (صورة جديدة للذات، يكون مبدؤها الأساسي في عمقه هو الآتي: إن الذات مفردة لأنها دوماً حدث يشكلها ضمن حقيقة ما. على نحو آخر، فإن الذات هي في الوقت نفسه مجال لعقلانية ممكنة، وهي مركز حقيقة الحدث. وفي الأخير، لا سعادة إلا لذات؛ ذلك لأنها لا تكون إلا لفرد يقبل أن يتحول إلى ذات)[37].

**خامساً- "ميتافيزيقا السعادة" في نموذجين.. أفلاطون وسبينوزا:**

"التوق إلى التفلسف إذن" ليس مجرد دافع عقلي بارد ومحايد يسعى إلى تنظيم العالم وتعقله فكرياً، بل هو بحسب باديو قوة انفعالية تسعى لتحقيق ثورة فكرية (من أجل سعادة حقيقية متمايزة عن السعادة الظاهرية التي هي الإشباع. فالفلسفة الحقيقية ليست مراناً مجرداً. منذ أمد بعيد، ومع "أفلاطون"، ناهضت الفلسفة عسف العالم. إنها تجابه الحالة المزرية للعالم وللحياة الإنسانية. بيد أنها تقوم بكل ذلك ضمن حركة تصون دوماً أولويات الاستدلال، كما أنها تقترح في النهاية منطقاً جديداً ضمن نفس الحركة، حيث تميز من خلالها، السعادة الحقيقية من شبيهها)[38].

وهذا يعني أن التوق إلى التفلسف لا يصل لنتيجته المرتجاة إلا بتوافر الطابع الميتافيزيقي الضروري للفلسفة الحقيقية، أو ما يطلِق عليه باديو "مقتضى التعقلية"، والذي ينبغي أن يستند عنده إلى النموذج الرياضي والاستدلال المنطقي. أما ضرورة أن تقوم الميتافيزيقا على هذا الشكل من "التعقلية" فلأن التمرد كما يرى فيلسوفنا، لا يمكنه بحد ذاته، وبرغم ما يحمله من قوة دافعية، أن يبلغ الغايات التي يسعى لبلوغها، لذلك ينبغي أن تحضر "التعقلية" كموجه له وضامن يمكّنه من بلوغ غاياته.

لتوضيح دور الميتافيزيقا هذا في تصميم فلسفةٍ للسعادة الحقيقية، يتوسل باديو مقاربة موضوع السعادة بفلاسفة آخرين (يُنظر إليهم على أنهم لا يُشق لهم غبار؛ ومنهم على سبيل التمثيل "أفلاطون" و"سبينوزا")[39]. فيربط السعادة عند الأول بالحركة العقلية والمنطقية للفكر، والتي تستند إلى الرياضيات والمنطق الجدلي في سعيها للنفاذ إلى الحقائق. ولذلك فالسعيد بحق عند أفلاطون هو (الذي كف عن الخضوع للآراء الشائعة، ولا يثق إلا في الحقائق التي يشارك فيها فكره)[40]، وتعني المشاركة هنا هي ما قصده أفلاطون في نظريته الشهيرة في المثل، أي مشاركة المعنى الكلي المجرد (المثال) للموجود الجزئي المتعين[41]، وبها يتحقق العلم اليقيني المرتبط بالمثل الثابتة لا بالمحسوسات المتغيرة.

إن الطريق الأفلاطوني لـ "النفاذ إلى الحقائق" ينطلق من الرياضيات، وصولاً إلى "الجدل"، ثم من الجدل يكون الوصول إلى السعادة. وحيث أن الرياضيات ثم الجدل هما عنصرا التفكير الذي يسميه باديو "ميتافيزيقا"، وأن السعادة هي علامة "النفاذ إلى الحقائق" ونتيجته المؤكدة، ينتهي فيلسوفنا إلى إمكانية (أن نقول حقاً إن مسار الحياة والتفكير الشامل فيها يؤلفان ميتافيزيقا السعادة)[42].

وقريباً من ذلك يكون الطريق الذي انتهجه سبينوزا في رأي باديو، فالرياضيات أيضاً عند سبينوزا هي الوسيلة التي يغادر بها الإنسان جهله ويستطيع النفاذ إلى الحقائق أو الأفكار الملائمة، ومنها ينطلق إلى جنسين متعاليين من المعرفة، هما: البرهان المنطقي والحدس العقلي، ومن الأخير يكون بلوغ معرفة الله ذاته، وهنا غاية السعادة أيضاً، والتي ليست (شيئاً آخر سوى ممارسة الفكر الحقيقي؛ أعني الفضيلة: "ليست السعادة بديلاً للفضيلة، وإنما هي الفضيلة عينها")[43].

أي بالنتيجة، فمرة أخرى مع سبينوزا، كما في المرة الأولى مع افلاطون: (تؤلف كل من الرياضيات والمنطق مع الحدس العقلي ما يمكن أن نسميه بالضبط ميتافيزيقا السعادة)[44].وهذا ما سبق أن أشار إليه فابيان تاربي في تقديمه لكتاب باديو "في مديح الحب" شارحاً طبيعة المنهج الرياضي المنطقي الذي يعتمده في بناء ميتافيزيقاه التي ينبغي أن تُبنى عليها الفلسفة، إذ يوضح تاربي موقف باديو من أن دراسة الرياضيات والمنطق تتيح (سبر غور المشكلات الأبدية الفلسفية، إن الفيلسوف المسلح بهذه الدراسة هو مفكر خطير بما أن الاستنباط الذي يرشده هو فكر منهجي بديهيا. إن الرياضيات والمنطق لا يكذبان ولا يقدمان، بسبب دقتهما، إجابات مشوشة أو مؤجلة)[45].

ما يريده باديو إذن، وعلى عكس ما هو متوقع من عنوان كتابه المثير: "ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، هو اتخاذ موقف نقدي إصلاحي من الفلسفة، يتضمن كشفاً جديداً لمعناها وضرورتها ولغاياتها في ما تنتجه، وليس من السعادة بحد ذاتها ولا للكشف عن مضامينها، لذلك لن يبدو مستهجناً عنده أن يسلك مسلك أغلب الفلاسفة؛ قديمهم ووسيطهم وحديثهم، في التأكيد على الاشتراط الجذري الذي يربط بين الفلسفة والسعادة، ولكنه في الوقت ذاته اشتراط متبادل، فالسعادة لا تتحقق إلا بالفلسفة الحقة، والفلسفة بالمقابل لا تستحق أن تكون كذلك إلا إذا كانت "ميتافيزيقا في السعادة". إذ في كل حد من الحدين نجد الشروط التي يتحقق بها الآخر، كما نجد أيضاً "الماصدقات" التي يتعين بها. وهذا ما استدعى عنده القول بشكل قاطع: (إن كل فلسفة، ولا سيما تلك التي تم دعمها بمعارف علمية مركبة، وبآثار فنية مجددة، وبسياسات ثورية وحب عارم؛ إما أن تكون ميتافيزيقا في السعادة، أو أنها لا تستحق ذرة من الجهد)[46].

**سادساً- نحو فلسفة عملية للسعادة:**

مقابل تمسك باديو بالتصور الكلاسيكي عن الفلسفة، والمنعكس بشكل واضح في التزامه بمقولة الميتافيزيقا، والتي تتأسس عنده على المعرفة الرياضية والمنطق، كشرط ضروري لأن يكون المطلب الرئيس في الفلسفة هو الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة، بالإضافة إلى تمسكه بالطابع النسقي للفلسفة كمنهج كلي وشامل، والذي يعني رفض تشظيها أو اختزالها في مناهج ضيقة؛ تأويلية كانت أو تحليلية أو تفكيكية. مقابل ذلك كله، ينطلق باديو من فهمه لمشكلات العالم المعاصر وحاجة الإنسان فيه إلى فلسفة عملية، أو "تطبيقية" إن جاز القول، تستطيع أن تعيد الفكر الفلسفي إلى طريقه الصحيح، ليكون قادراً على الاستجابة لحاجة الإنسان إلى اللقاء بالسعادة الحقيقية.

باديو إذن، وكما يصفه فتحي المسكيني في مقدمة ترجمة كتابه "بيان ثان من أجل الفلسفة"، فإن (كل ما يكتبه أو يقوله، وعلى الرغم من تقنيته العالية وطابعه النسقي، هو نضال كوني والتزام يومي شرس. وبذلك مثّل آلان باديو على الدوام حالة فلسفية مثيرة للجدل وإن كانت طريفة ومعقدة)[47]. ولا شك أننا لمسنا بعض جوانب هذا التعقيد الذي لا يمكن تجاوزه، لا بسبب منهج باديو وطريقة توضيح أفكاره، بل بسبب طبيعة الفلسفة ذاتها والتجريد الذي لا يمكن فصله عن جوهرها.

ولأن باديو يدرك حجم الهوة التي فصلت في أغلب الأحيان بين ما يقوله الفلاسفة في السعادة وعنها، وبين ما يتصوره الإنسان العادي حولها، لهذا السبب في الغالب، يلجأ فيلسوفنا إلى وضع ما يشبه خريطة القواعد التنفيذية التي ينبغي على الفلسفة توضيحها لتكشف للإنسان عن معنى السعادة وطريق بلوغها. ينتبه باديو أيضاً إلى أن هذه القواعد

ورغم أنها موجَهة لأزمة العالم المعاصر وافتقاره إلى السعادة، فإنها قابلة أيضاً للاشتقاق من صميم معنى الفلسفة وحاجتنا إلى أن نتفلسف. فما هي هذه القواعد العملية؟ وكيف تصنع سعادتنا؟

**1. الذات ورهان الاختيار:**

ينتقد باديو بشدة من يسميهم دعاة "الفلسفة المضادة"، أمثال باسكال ونيتشه وروسو وغيرهم ممن رفض الطابع النسقي للفلسفة وتخلوا عن مفهوم الحقيقة، وبالتالي عن الميتافيزيقا، وهو إذ يعتبرهم بطبيعة الحال كتاباً كباراً أقرب إلى الأدب منهم إلى الفلسفة، إلا أنه وكما يصف نفسه، باعتباره الفيلسوف (المفهومي النسقي والمحب للنموذج الرياضي- فلا يمكنه طبعا أن يستسلم إلى تراتيل هؤلاء الغاوين والكواسر الرائعة؛ وأعني بهم الفلاسفة المضادين)[48]. ولكنه لن يتجاهل أيضاً مستوى التحدي الذي يطرحونه على الذات، وأنها لكي تتسامى إلى مستوى ما هو مطلق فلا بد أن تكون قادرة على الاختيار. هذا هو الرهان الأصيل الذي استحدثه باسكال، ونوّه إليه روسو حين قال بضرورة أن يختار الإنسان ما يمليه عليه وعيه، أو ما نبه إليه كيركيغارد من أن الذات (إذا لم تختر فإنها ستضمحل)[49].

لذلك يؤكد باديو أن اختبار المجازفة والاختيار والقرار المرغم والشاق أشياء تمثل للإنسان قضية حياة أو موت، وأن حقيقة وجود الذات لا تتحقق إلا ضمن هذا الاختبار، وبالتالي فلا سعادة حقيقية إذا لم يتغلب الإنسان على غواية التمسك بالرضا الفردي المضاد للحب[50]، وبالإشباعات الهزيلة التي تسجنه في مستوى وجوده الحيواني فقط، وتمنعه من أن يكون ذاتاً حقيقية.

يؤكد باديو أيضاً أن مهمة الفلسفة توجيهنا نحو فعل الاختيار هذا[51]،وأن الإنسان حين يمتلك لكي يقرر ويختار، فإنه (يمكن لكل حلقة من حلقات الحياة، مهما كانت صغيرة أو بسيطة، أن تكون مناسبة لاختبار المطلق، وبالتالي السعادة الحقيقية، منذ اللحظة التي تستدعي فيها اختياراً محضاً دون تصور سابق)[52].

**2. شجاعة اللقاء/ مواجهة الحدث:**

لكي تكون الذات ذاتاً بحق، وتمتلك حياتها الحقيقية، فإن بلوغ ذلك لا يمكن أن يتحقق ضمن معطى الحياة المباشر، بل إن الذات تدرك حقيقة ذاتها، وكما يقتبس باديو من كيركيغارد أيضاً، من خلال (ما تضفيه من معنى على ما يمكنها حقاً أن تلتقيها في حياتها)[53]. ما يعني أن اللقاء هو الفعل الأساسي والأصيل للذات في الحب والمجازفة والشغب والشعر، هذا اللقاء الذي يأخذ شكل مواجهة الحياة وما تتضمنه من مواقف واختيارات ومخاطرات هو رهان السعادة الحقيقية التي تصنعها علاقاتنا العرضية مع الوجود، تلك العلاقات التي لا تخضع لما يفرضه علينا العالم المعاصر من قواعد ثابتة تجبرنا على التوافق مع ما هو قائم، والإذعان لما هو سائد ومناسب لبنيته وضغوطاته.

إن انفتاح الذات وشجاعتها في أن تلتقي بكل فعل أو حدث أو موقف خارج عن ما في استمرارية الحياة السائدة من رتابة وسكون وإكراه هو ما يصنع الحياة الحقيقية التي تنشدها هذه الذات، ومن ثم يصنع سعادتها، هذا الدرس المهم هو ما تعلمه باديو من الفلاسفة المضادين، أوكارهي الفلسفة، (لقد تعلّم من هؤلاء أنّ السعادة تكمن في فرحة المحبّين بلقاء الحبّ، وفي غبطة العلماء بلقاء الحقيقة العلميّة وبحماسة المناضلين حين يلتقون بلحظة الثورة، ومتعة الفنّانين لحظة إبداع آثارهم الفنية. نحتاج إذن من أجل الرغبة في الفلسفة والرغبة في الحقيقة والرغبة في السعادة إلى "فكرة ما عن

الإبداع")[54]. (وسواء كان الحماس السياسي، أو الغبطة العلمية، أو المتعة العملية، أو البهجة الغرامية هو الانفعال الناتج عن تأثير الذات هذا، فإنه ما يجدر أن نطلق عليه دوماً اسم سعادة)[55]. فما هو الإبداع الذي يقصده باديو؟

**3. السعادة أن نغير العالم/ أن نستمتع بالاشكال الجديدة للحياة:**

"لكي نكون سعداء حقاً فينبغي أن نرغب في تغيير العالم"، تمثل هذه القاعدة النقطة المركزية في خطاب باديو حول السعادة، فالوجود عنده وبما يحمله من إمكانات متعددة أغنى بكثير مما هو عليه في حالته الثابتة والمستقرة، ولكن هذا التغير لا يتحقق إلا بتدخل وتأثير مباشر من الذات، تدخل معتمد على الفلسفة ومستند إلى الحقيقة التي ينبغي أن لا نتنازل عنها. وكما ينبهنا باديو بالقول: (أجل! إن الفلسفة يمكن أن تكون ما ترغبون منها أن تكون. [لكن] حاولوا أن ترو فعلاً ما ترونه)[56]. وأن الرغبة في تغيير العالم من حولنا إنما هي الرغبة في تجاوز كل ما فيه من الأشكال المغلوطة والمزيفة عن السعادة التي لا يمكن أن توجد بمعزل عن "الحقيقة"[57].

ولكي نغير "العالم"، وهو ليس بالمفهوم البسيط كما ينوه باديو، فإن هذا التغيير لا ينحصر في مجال واحد أو مستوى واحد فحسب، بل إمكاناته متعددة بتعدد مستويات فهمنا للعالم من حولنا واتصالنا به، والتي حصرها فيلسوفنا في خمسة مستويات: عالمنا الداخلي أو عالم الأفراد وما فيه من انفعالات وذكريات وآراء، وعالم الجماعات المغلقة: كعالم العائلة وعالم المهنة وعالم اللغة وعالم الدين.. إلخ، ثم عالم التاريخ الكلي للإنسانية، يليه العالم الطبيعي (الأرض) الذي نتقاسمه مع الحيوانات والنباتات والصخور والبحار، وأخيراً عالم الكون وما فيه من كواكب ونجوم ومجرات.

إن تغيير العالم، ضمن مستوياته التصاعدية هذه من الفرد إلى الكون، لا يعني بأي شكل من الأشكال تغييراً كلياً وجذرياً، أو مباشراً وواضحاً للعالم بكليته، وإنما "لعالم ما" بناء على ما تقتضيه الحقائق التي تستكشفها الذات. وبالتالي فأن نغير العالم يعني أن نتطلع إلى ما يمكن تحقيقه في العالم الحقيقي عبر مواجهة العالم الزائف[58]. ولذلك فالسعادة هي الوجه الذاتي لمهمة عسيرة: أن نتدبر أمر تبعات حدث ما (اللقاء والمواجهة)، وأن نكتشف، تحت ركام الوجود الرتيب والكئيب، الإمكانات المضيئة التي وهبنا إياها الواقع الموجب لنستطيع إزالة هذا الركام وتغييره. وبالتالي نستطيع تحقيق السعادة عبر الاستمتاع بوجودنا الفعال والخلاق والقادر على تغيير ما كنا نظن أننا لا نستطيع تغييره. ينتهي باديو من ذلك كله إلى أن تغيير العالم يبدأ من الشعور بعدم الرضا عن شكل حياتنا بما هي عليه، فيدفعنا ذلك إلى اختيار الشكل الذي نريده، (إنه الاختيار الحق لحياة حقيقية)[59].

**4. السعادة بوصفها استمتاع باللامتناهي:**

يعتقد باديو أنه إذا ما أردنا سبر غور علاقتنا كأفراد، وكأجسام، مع الحقائق ومع الوجود، فإننا سنصطدم بمشكلة شائكة؛ فالحقائق –وكذلك الوجود– هي في الأساس لا متناهية، أما الأجسام فمتناهية. إن العلاقة التي تتحقق عبر انفتاحنا كمتناهين على الحقائق اللامتناهية، هي التي تجعلها الفلسفة ممكنة، وهي التي تصنع سعادتنا. وعليه فإن حدّ السعادة الأبسط (أي تعريفها) يكون حسب باديو (على النحو التالي: كل سعادة هي استمتاع متناه باللامتناهي)[60]. ولا يتحقق هذا الاستمتاع إلا بمواجهة الحقيقة، وهي مواجهة لا تحدث بشكل سلس وضمن جريان الحياة الرتيبة والقانعة، بل تحتاج إلى

نوع من الإجهاد والنضال المدفوعين بقوة الإرادة[61]. ولذلك ينتهي باديو إلى القول: (ليست السعادة تدبيراً طبيعياً وعفوياً، إنها تحصل، في معنى ما، عبر قوة [الإرادة])[62].

إن اللقاء بين الذات والحقيقة، والذي يعني تحايثهما (أي اندماجهما التام في حدث ما ضمن الزمان والمكان) هو المجال الذي يمكن أن نختبر فيه معنى الحياة الحقة التي تستحق أن تُعاش، وبالتالي نختبر فيه حالة السعادة القصوى التي يحققها انفتاح المتناهي على اللامتناهي[63]. أخيراً.. إن طريق الذات إلى محايثة الحياة الحقة هو طريق الفلسفة نفسها، وهو أيضاً طريق السعادة.

**خاتمة:**

يستمد خطاب باديو حول السعادة كمشكلة فلسفية أهميته من تمثله لبعدين اثنين متمايزين عن بعضهما كل التمايز، الأول يرتبط بعلاقة السعادة بالفلسفة، حيث يعيد باديو التفكير في السعادة إلى فضاء الفكر الفلسفي التقليدي وضمن منهجية واضحة تستند إلى التأمل العقلي وعلى طريقة الفلاسفة السابقين، بعيداً عن المنهجيات المستحدثة التي سعى فيلسوفنا إلى البرهنة على قصورها عن مواكبة ما ينبغي أن تكون عليه الفلسفة اليوم، وبالتالي عجزها عن الاستجابة لحاجة العالم المعاصر لها، تلك الحاجة التي يصفها باديو بأنها أكبر مما تعتقده الفلسفة ذاتها.

أما البعد الثاني لأهمية ما يطرحه باديو من أفكار حول السعادة، فهو اشتمال هذه الأفكار على الجانب التطبيقي الذي يجعلها، رغم إغراقها في التجريد أحياناً، قابلة لأن تتعين في قواعد عملية وسلوكية فيمكن من خلالها ردم الفجوة التقليدية بين المستويين النظري والتطبيقي في الفلسفة. بالإضافة إلى ذلك،يقترحباديوفي فلسفته مجموعة من القيم الباعثة على السعادة، والتي يمكن تمثلها في مواجهة أزمات العالم المعاصر ومشكلاته على مستوى الفرد والجماعة. ويمكن إبراز هذا الجانب القيمي/ التطبيقي في النقاط الآتية:

- تحمل فلسفة السعادة عند باديو دعوة صريحة لاستكشاف معنى الحياة الجديرة التي تستحق أن تُعاش، وذلك بالانطلاق من موقف نقدي يساعد في إزالة كل العوائق التي تسببت بها الحضارة المعاصرة وأدت إلى تغييب معنى الحياة الجديرة، وبالتالي معنى السعادة الحقيقية لصالح أشكال مشوهة ومتوهمة تقوم على الإشباع الآني والمصطنع، والسعي خلف المتعة واللذة.
- يكرس باديو من خلال ربطه بين السعادة ومقتضى التعقلية أهمية استعادة دور العقل في تكوين وعي الذات البشرية بهويتها وأصالة وجودها وتميزه عن سائر الموجودات الأخرى.
- تعلي فلسفة باديو في السعادة مجموعة من القيم والخصائل الخُلقية والنفسية التي يشترطها السعي إلى العيش بسعادة، كالحرية الفكرية والشجاعة ومديح روح المغامرة في الانفتاح على الوجود وملاقاته بما يحمله من فرص وإمكانات محتملة هي أغنى بكثير مما يفرضه الواقع اليوم في ظل منظمة التبادل السلعي والتواصل النقدي (المالي).
- يسعى باديو في فلسفته عن السعادة إلى تكريس مفهوم كوني عام وشامل، ومستند إلى فلسفة قادرة على إبراز معنى الوجود الإنساني في كليته، وعلى مقاربة المسائل الإنسانية الكبرى وإثارة الأفكار الجادة حولها.

- يدعو باديو إلى تحرير الذات الإنسانية من الأفق الضيق والمحدود والمتناهي الذي فرضته أنماط عالمنا المعاصر، وذلك عبر الانفتاح على اللامتناهي وعلى كل ما هو مطلق، والذي يجد تعينه في السعي إلى "الحقيقة" بمعناها الواسع الذي مثّل دائما الهدف الرئيس من حاجة الإنسان إلى التفلسف.
- يمثّل العلم الرياضي والمنطق العقلي الأصل الميتافيزيقي لمفهوم السعادةعند باديو، وذلك لأنهما يمنحان إمكان تعقل العالم، أي ما يُطلق عليه مصطلح "التعقلية"، والتي يكرس فيلسوفنا دورها المهم في تأكيد سعي الذات نحو فلسفة الحقيقة، وفي توجيه روح التمرد على ما هو سائد من الأفكار والنظم التي تفصل الإنسان عن الحياة الحقة والجديرة.
- يربط باديو تحقق السعادة بتحقق التغيير، والذي من خلاله تتجاوز الذات الواقع المعطى بسلبياته وبما هو عليه نحو ما يعِدُ به الوجود من إمكانات موجبة ولا نهائية. أما المجالات الكبرى لهذا التغير فهي حسب باديو: السياسة والعلم والفن والحب، وفيها يمكننا اختبار الانفعالات التي تصنع السعادة[64]؛ الحماس والغبطة والمتعة والبهجة.

وعطفاً على الخلاصات السابقة أعلاه، يوصي البحث أن تُعتمد فلسفة باديو في السعادة، وبما تتضمنه من قيم وقواعد تطبيقية، كإطار توجيهي عملي في وضع الرؤى وصياغة الاستراتيجيات وتصميم البرامج والأنشطة الخاصة بالجهات والمؤسسات المعنية بالتعريف بالسعادة وتوفير شروطها والكشف عن أهميتها للفرد والمجتمع، كالمؤسسات التربوية والتعليمية العليا، والهيئات والمنظمات المدنية، والوزارات والقطاعات الحكومية ذات الصلة بالشؤون الثقافية والترفيهية والخدمية، ومؤسسات الرعاية الاجتماعية.

ومن النقاط المهمة التي يمكن أن يتضمنها هذا الإطار التوجيهي في سياق الأفكار الي استعرضها البحث ما يأتي:

- الاهتمام تربويا بالمعارف العقلية الرياضية والمنطقية، وتنمية مهارات الفكر النقدي.
- التشجيع على المبادرات والمشاريع التي تتحلى بالجرأة في التغيير والتطوير.
- رعاية الفنون والآداب من خلال المعارض والمهرجانات والمنتديات الفنية بأنواعها.
- تنظيم جهود الأفراد، وبخاصة الشباب، في القضايا الاجتماعية العامة والإنسانية العابرة للحدود والدول والقوميات.
- دعم أشكال التواصل الإنساني غير الاستهلاكي، كملتقيات الثقافات والتعاون العلمي والتعارف الحضاري والحوار الديني
- التشجيع على الإبداع والفكر الحر ومقاومة تأثير وسيطرة الأفكار السائدة أو المهيمنة.

## Abstract

## Between achieving happiness and reforming philosophy in a contemporary world
## "The philosophy of happiness according to Alain Badiou as a model"
**By Cecile Awad**

This research deals with the concept of happiness according to the contemporary French philosopher Alain Badiou, who, in his treatment of the subject of happiness, as a contemporary problem on the one hand, and a traditional philosophical problem on the other hand, seeks to approach the problem of philosophical thought itself in our current era, by revealing a point The main connection between happiness and philosophy, which means the true and original meaning of a worthy life. A person is unable to live happily if he does not discover the meaning of true life and discover the conditions that determine it. On the other hand, revealing the essence of life is a philosophical task par excellence, because it is linked to a person's awareness of the existence around him, and to the awareness of his relationship with this existence as well.

Badiou attributes the inability of man today to explore the true meaning of happiness to two main reasons: The first is that contemporary philosophical trends, because of the approaches they adopt and the goals they seek, are unable to formulate a theoretical awareness that enables us to understand the true meaning of life, and thus the meaning of our existence in it. The second reason relates to the characteristics of our contemporary world as it is today, which is dominated by commodity communication, monetary abstraction, the elevation of the importance of imaginary security, and the rejection of values that encourage intellectual courage and the desire for change and adventure.

Badiou believes that the reason contemporary philosophies fail to respond to the problems of the world today is that these philosophies are designed to conform to this world as it is and to the form of life it imposes, and not to what true life should be and what we want from it. Therefore, the reason for deprivation of a happy life is the inability to live the life that it deserves, and in order to know the meaning of true life, we must start from reforming philosophy itself, and restoring its main demand; the truth.


**الهوامش**

[1]قدم باديو مقاربته الأشهر والأكثر شمولية عن السعادة من خلال كتابه "ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، والذي صدر للمرة الأولى باللغة الفرنسية عام 2015، ونقله إلى العربية محمد كراي العويشاوي عام 2021.

[2] هاني فوزي محمد عبد الباقي، نظرية السعادة بين الفلسفة اليونانية والإسلامية "دراسة تحليلية مقارنة"، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد36، المجلد1، 2022/2023، ص170.

[3]عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط1، 1984، ج1، ص578.

[4]منى أحمد أبو زيد، نظرية "السعادة" ووسائل تحقيقها في الفلسفتين اليونانية والإسلامية، مجلة التفاهم/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: سلطنة عمان، المجلد12، العدد43، 2014، ص136.

[5]منى أحمد أبو زيد، نظرية "السعادة" ووسائل تحقيقها في الفلسفتين اليونانية والإسلامية، ص140.

[6] موسى معيرش، مشكلة القيم في فلسفة أوغسطين، مجلة تبيّن: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد16/4، 2016، ص98.

[7]أوغسطين، في الحياة السعيدة، ترجمة يوحنا الحلو، دار المشرق: بيروت، ص100.

[8]عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ص180.

[9]فريديريك لونوار، في السعادة "رحلة فلسفية"، ترجمة خلدون النبواني، دار التنوير: تونس، ط1، 2016، ص121.

[10] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص18.

[11]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص25.

[12]آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ص84.

[13]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص26.

[14]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص30.

[15]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص27.

[16]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص28.

[17]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص29.

[18]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص29.

[19]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص29–30.

[20]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص30.

[21] آلان باديو وسلافوي جيجيك، الفلسفة في الحاضر، ترجمة يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر: لبنان –بيروت، ط1، 2013، ص19 – 20.

[22]التأويلية – الهرمينوطيقا: التأويل هو تصور نظري أو سرد للحقائق أو النصوص أو الأشخاص أو الوقائع يجعل الموضوع مفهوماً. وتقوم الهرمينوطيقا على مسلمة أن الإنسان يفهم ذاته، والعالم والآخرين من خلال تأويلات ذاتية – نسبية ومشروطة تاريخياً لعالم الحياة الاجتماعية. انظر: دليل أوكسفورد للفلسفة – ج1، تحرير تد هوندرتش، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير: ليبيا، ص126.

[23]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص31.

[24]الفلسفة التحليلية:مجموعة المناهج الفلسفية التي تميز كثيراً من فلسفة القرن العشرين الناطقة بالإنجليزية، من النوع الذي يصف نفسه بأنه "تحليلي" تعبيراً عن مناصرة الضبط والدقة، العلم، التقنيات المنطقية، والأهم من ذلك كله، البحث المدقق في اللغة بوصفها أفضل طريقة لفحص المفاهيم. انظر: دليل أوكسفورد للفلسفة، ج1، ص302.

[25]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص33.

[26]"ما بعد الحداثة" حركة فكرية واسعة في أواخر القرن العشرين، تتصف بالنزعة الذاتية، أو الفلسفة النسبية والتشكيك بالمنطق، كما تتسم بحساسية حادة تجاه دور الأيدلوجيا في تأكيد السلطة السياسية والاقتصادية والحفاظ عليها. وهي بمثابة رد فعل ضد الافتراضات والقيم الفلسفية التي وُجدت في الفترة الحديثة من التاريخ الغربي، وخاصة التاريخ الأوروبي، وتحديداً الفترة الواقعة من بداية الثورة العلمية في القرن السادس عشر، والقرن السابع عشر، وحتى منتصف القرن العشرين. انظر: https://2u.pw/70ebJTd

[27] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص33.

[28]أم الزين بنشيخة المسكيني، في متعة المستحيل: قراءة في ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، مجلة الباب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد8، 2016، على الرابط: https://2u.pw/Qlh55e5

[29]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص36.

[30] Lucas Fain, Primal Philosophy: Rousseau with Laplanch, Rowman and Littlefield: Lanham, 2020, p.169.

[31] آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ص27.

[32] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص41–42.

[33] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص44.

[34]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص46.

[35]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص51.

[36] آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ص27.

[37]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص51.

[38] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص25–26.

[39] آلانباديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص18.

[40] آلانباديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص19.

[41]حمادة أحمد علي، نظرية المعنى الكلي بين أفلاطون وأرسطو، نور للنشر والتوزيع، 2017، انظر الصفحات: 46 – 51.

[42]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص19.

[43]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص20.

[44]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص20.

[45] انظر مقدمة فابيان تاربي "مدخل موجز إلى فلسفة آلان باديو" في: ألان باديو، في مديح الحب، ترجمة غادة الحلواني، دار التنوير للطباعة والنشر: مصر – القاهرة، ط1، 2014، ص11.

[46]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص20.

[47]انظر مقدمة المترجم في: آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ترجمة فتحي المسكيني، منشورات الجمل: بغداد، ط1، 2021، ص6.

[48]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص54.

[49] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص55.

[50]Lynne Segal, Radical Happiness: Moments of Collective Joy, Verso: London-New York, 1st. ed., 2017, p.143.

[51] Lucas Fain, Primal Philosophy: Rousseau with Laplanch,, p.150.

[52]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص56.

[53]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص57.

[54]أم الزين بنشيخة المسكيني، في متعة المستحيل: قراءة في ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، على الرابط: https://2u.pw/Qlh55e5

[55]آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ص60.

[56]آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ص22.

[57]Giosuè Ghisalberti, Dilemmas of Truth in Alain Badiou's Philosophy, Palgrave Macmillan, 2023, p.224.

[58]أم الزين بنشيخة المسكيني، في متعة المستحيل: قراءة في ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، على الرابط: https://2u.pw/Qlh55e5

[59]آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص77.

[60] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص84.

[61] Lucas Fain, Primal Philosophy: Rousseau with Laplanch, p.151.

[62] آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ص86.

[63]Giosuè Ghisalberti, Dilemmas of Truth in Alain Badiou's Philosophy, p.39.

[64] John Mullarkey, Post Continental Philosophy: An Outline, Continuum International Publishing Group: London, 2006, p.183.

**المصادر والمراجع:**


1. أوغسطين، في الحياة السعيدة، ترجمة يوحنا الحلو، دار المشرق: بيروت.
2. آلان باديووسلافويجيجيك، الفلسفة في الحاضر، ترجمة يزن الحاج، دار التنوير للطباعة والنشر: لبنان –بيروت، ط1، 2013.
3. آلان باديو، بيان ثان من أجل الفلسفة، ترجمة فتحي المسكيني، منشورات دار الجمل، ط1، 2021.
4. آلان باديو، في مديح الحب، ترجمة غادة الحلواني، دار التنوير للطباعة والنشر: مصر – القاهرة، ط1، 2014.
5. آلان باديو، ميتافيزيقا السعادة الحقيقية، ترجمة محمد كراي العويشاوي، صفحة سبعة للنشر، ط1، 2021.
6. أم الزين بنشيخةالمسكيني، في متعة المستحيل: قراءة في ميتافيزيقا السعادة الحقيقية"، مجلة الباب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد8، 2016، على الرابط:https://2u.pw/Qlh55e5
7. حمادة أحمد علي، نظرية المعنى الكلي بين أفلاطون وأرسطو، نور للنشر والتوزيع، 2017.
8. تد هوندرتش (محرر)، دليل أوكسفورد للفلسفة – ج1، ترجمة نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير: ليبيا.
9. عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، ط1، 1984، ج1.
10. فريدريك لونوار، في السعادة "رحلة فلسفية"، ترجمة خلدون النبواني، دار التنوير: تونس، ط1، 2016.
11. منى أحمد أبو زيد، نظرية "السعادة" ووسائل تحقيقها في الفلسفتين اليونانية والإسلامية، مجلة التفاهم/ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: سلطنة عمان، المجلد12، العدد43، 2014.
12. موسى معيرش، مشكلة القيم في فلسفة أوغسطين، مجلة تبيّن: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد4/16، 2016.
13. هاني فوزي محمد عبد الباقي، نظرية السعادة بين الفلسفة اليونانية والإسلامية "دراسة تحليلية مقارنة"، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، العدد36، المجلد1، 2023/2022.


**المراجع الأجنبية:**


1. Giosuè Ghisalberti, Dilemmas of Truth in Alain Badiou's Philosophy, Palgrave Macmillan, 2023.
2. John Mullarkey, Post Continental Philosophy: An Outline, Continuum International Publishing Group: London, 2006.
3. Lucas Fain, Primal Philosophy: Rousseau with Laplanch, Rowman and Littlefield: Lanham, 2020.
4. Lynne Segal, Radical Happiness: Moments of Collective Joy, Verso: London-New York, 1st. ed., 2017.